حديث السعودية

الأربعاء 25 جمادى الأولى 1446هـ
الموافق 27 نوفمبر 2024م

الغبي المتحرك

عبدالمحسن البدراني

رئيس التحرير

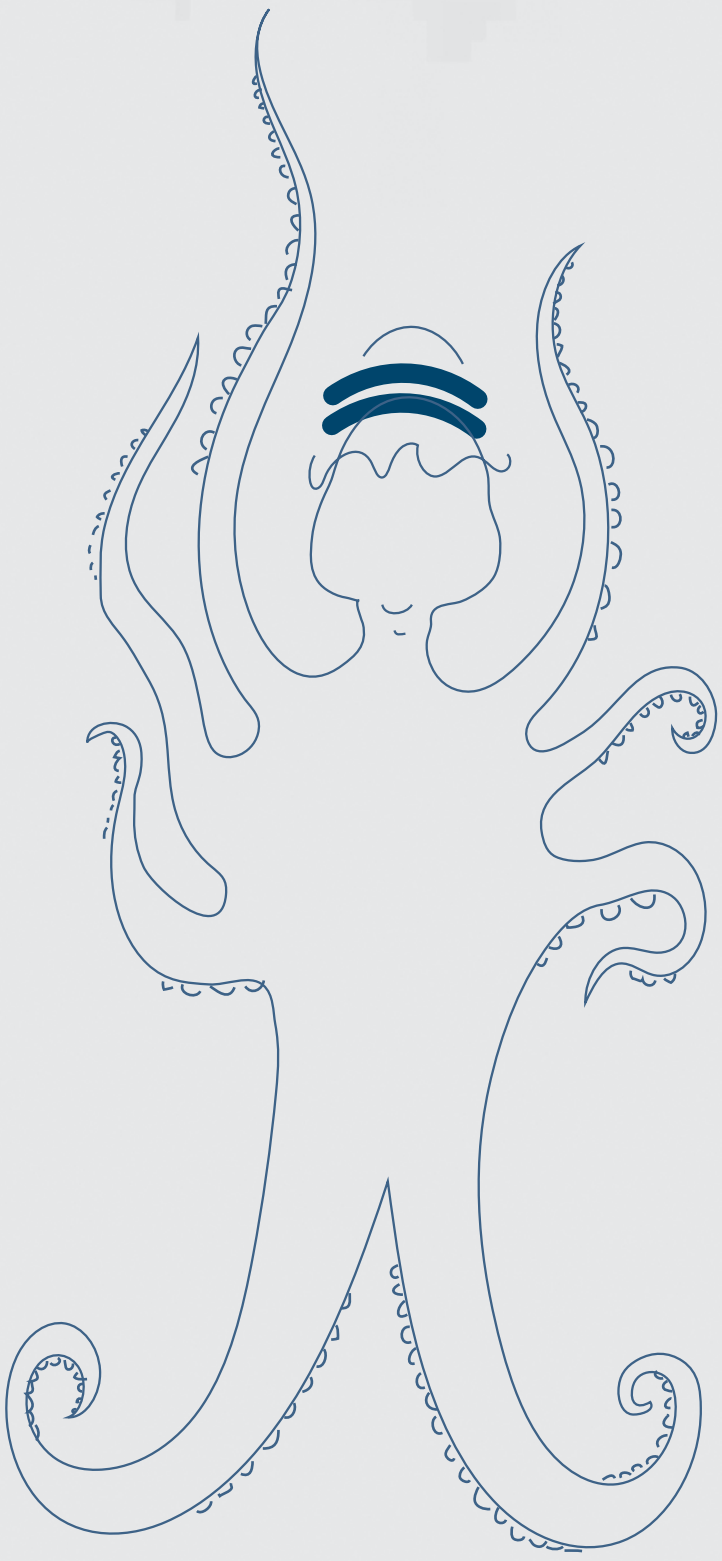

في كل مجتمع، هناك من يصنع الأثر بصمت، وهناك من يصنع الضجيج بلا فائدة. وفي المدينة المنورة، تبرز ظاهرة «الخبير في كل شيء»، ذلك الذي أمضى سنوات طويلة يدّعي المعرفة والتميز، متصدرًا المشهد الاجتماعي كخبير في الاقتصاد، وجهبذ في التاريخ، ومرجع في الأنساب. وكأن خزائن أسرار المدينة لا تُفتح إلا بمفاتيحه. فهو المستشار، والبروفيسور، والباحث في تاريخ الأمم، والمرجع الأول في معرفة الخيط والمخيط. باختصار، تجده عضوًا في 17 جمعية، و15 مجلس إدارة، ومحاضرًا في 4 ورش عمل، ومشرفًا على 13 قروب واتساب، وقاطًا دائمًا في 7 استراحات و3 مجالس بشك شيشة وشاهي منعنش!

ما يثير الدهشة أن هؤلاء لم تتغير مواقعهم رغم تغيرّ المسؤولين، وكأن الزمن لا يمسهم. يتلونون ويتكيفون مع الظروف، يجيدون فنون البقاء، ويتكاتفون لإعادة تصدير أنفسهم. تجدهم أول الحاضرين في كل مناسبة، وأول المتحدثين في كل منبر، وأول المدعوين لكل مجلس، يقدمون نفس العبارات المتكررة والمبادرات المستهلكة دون أن يتركوا أثرًا حقيقيًّا.

يدّعون الخبرة في الاقتصاد، ويتحدثون عن المشاريع والاستثمار كأنهم بناة نهضة المدينة، لكن أين نتائج هذه «الخبرة» الطويلة؟ أين الإنجازات التي يمكن أن تُرى على أرض الواقع؟ الحقيقة أنهم أبعد ما يكونون عن المعرفة الحقيقية. ما يصدر عنهم لا يتجاوز كونه كلامًا معسولاً، يجيدون به خداع غير المطلعين، لكنه بلا جذور ولا أساس. كل ما لديهم هو مهارة في الحديث، ونشاط مفرط في الحركة، وضجيج يُحسب على المدينة أكثر مما يُحسب لها.

والأعجب أن هؤلاء لا يعملون منفردين، بل تجدهم شبكة مترابطة تدعم بعضها البعض، تُعيد تشكيل نفسها مع كل موجة جديدة. إن طُرد أحدهم من الباب، عاد عبر النافذة، وإن تغيرت القيادات، بقيت هذه «الوجوه القديمة» متصدرة، وكأن المدينة لا تعرف غيرهم. خبراء في البقاء، محترفون في التسلق، وبارعون في تسويق أنفسهم كأنهم ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها.

هؤلاء ليسوا سوى نسخ جديدة من «الغبي المتحرك»؛ ذلك المصطلح العسكري الذي يُطلق على من يتحرك كثيرًا دون وعي أو هدف، ويتسبب بضرر أكبر من أي فائدة. لذا تنصح العقيدة العسكرية دائمًا بالتخلص منه فورًا؛ لأن نشاطه المفرط وضجيجه الدائم يملأ المكان، لكن حصاده خواء. كأنهم يسعون فقط لتزيين المجالس بصورهم وكلماتهم الفارغة، بينما الحقيقة أنهم أقرب إلى عقبة تُثقل كاهل المدينة وتمنعها من التقدم.

وفي المقابل، تظل المدينة تزخر برجالها الحقيقيين؛ أهل الحكمة والرأي السديد، الذين لا يبحثون عن الأضواء، ولا يسعون للتصدر في كل محفل. أولئك الذين يُقدّمون النصيحة الصادقة والعمل الجاد بصمت، بعيدًا عن مظاهر الزيف والتزلف. هؤلاء هم من يستحقون من المدينة أن تفتخر بهم، وتضعهم في واجهتها.

أما نصيحتي للمسؤولين في المدينة: إذا أردتم فعلاً أن تمثل المدينة بالصورة التي تليق بها وبأهلها، فتخلصوا من «الغبي المتحرك» في المناسبات الرسمية، وفي المجالس العامة، وفي أي مكان يُفترض أن يُرفع فيه صوت العقل والمعرفة. هؤلاء المتسلقون هم عبء لا أكثر، وحان الوقت لأن يُحذفوا من قوائم الدعوات الرسمية، ويستبدلوا بأصحاب الرأي الحقيقيين وأهل الحكمة الذين يستحقون التقدير والاحترام.

المدينة المنورة تستحق أن يرفع اسمها من قبل من يحملون فكرها النبيل، ويعرفون قيمة تاريخها ومكانتها، لا من يستغلون إرثها للتباهي والتصدر الفارغ. تخلصوا من هؤلاء «الأدعياء» الذين لا يعرفون سوى تسويق أنفسهم، وأفسحوا المجال لأصحاب الحكمة والرؤية الحقيقية، أولئك الذين يعملون لأجل المدينة، لا لأجل أنفسهم.

آن الأوان أن يعود المشهد في المدينة لمن يستحقه، وأن تصبح مناسباتها ومحافلها انعكاسًا حقيقيًّا لرقي أهلها، بعيدًا عن «الغبي المتحرك» الذي أثقلها بضجيجه وعبثه لعقود.

وختامًا، الله يخلص المدينة وأهلها من كل مدّعٍ متسلق، ومن كل نصاب ومقطع أربع، يدّعي ما لا يملك، ولا يحمل سوى الأوهام.